خواطِر

حطيمُ الوعيّ

طويلاً أمام النّافذة أنظر للاشيءٍ
كـ ثلجٍ على جزيرة يلوحُ للاأحدٍ

بُثينة مقدادّ زمّال

جحيمُ الوعيّ

خواطِر

طويلاً أمام النَافذة أنظر للا شيء
كناجٍ على جزيرة يلوع للا أحدٍ

بُثينة مقدار زمّال

(لمن لم يُسمع، حتى وهو يصرخ)

لم أكتب هذا الكتاب.
بل نزفته..

كل حرف هنا.. نُزع من مكان كان يؤلمني..
كل جملة... قُطعت من لحم فكري وأنا أرتجف..
لم أكتب لأبوح..
أنا لا أُجيد البوح..
أنا فقط حاولت أن أرتّب وجعي على هيئة كلمات كي لا أختنق به..

هذا ليس كتابًا..
بل مكان.. أدفن فيه ما لم أقدر على قتله..
أرمي فيه بقايا الأفكار التي أيقظتني ثلاث ليالٍ متتالية وأنا أبكي من دون سبب..

الذين يريدون "النور"، ليذهبوا إلى كتب التنمية البشرية..
هذا الكتاب ليس نجاة. ولا خلاصًا.
ولا رجاء..
هذا جحيم...
لكنه وعي.
وهذا أسوأ..
الذين يخافون الحقيقة.. الذين يكذبون على أنفسهم كل صباح ليعيشوا
لا تقرأوا هذا..
هذا الكتاب ليس لكم..
هذا الكتاب، كُتب لأجل من حاول أن يعيش ولم ينجح.
لأجله هو فقط..

كُتب في عزلةٍ لم يعرفها أحد..

الوعي؟
اللعنة الجميلة التي تفتح العين أكثر مما ينبغي..
أن تكون واعيًا.. يعني أن تعيش بكل طبقات الألم دفعة واحدة..
أن تسمع صوتك الداخلي يصرخ حتى وأنت صامت.
أن تنظر في المرآة... ولا تعرف من يحدّق فيك..

هذه خواطري..
ولكنها ليست لي وحدي...
هي رسائل تُركت على حافة الغرق
ليقرأها كل من تبلّلَ بالحزن ونجا ظاهريًا فقط..

أترك لك هذه الوصيّة
لا لتؤمن بها..
بل لتجد في صدقها طريقًا نحو نفسك...
أو على الأقل، عزاءً يشبهك..!

إهداء:

إلى اللحظة التي تمنّيتُ أن يحتضنني فيها أحد..
ولم تأتِ..
إلى الجدران التي شهِدت صمتي، وظنّتني بخير..
إلى ظلي
الذي سار خلفي حين تركني الجميع،
ولم يقل شيئًا..
لكنه كان يرتجف في كل خطوة..
إلى كلّ من ظنّ أن النضج لا يُبكي،
إلى كل من مشى بثقله داخله،
وواصل... كأن شيئًا لم يكن..
وإلى الوعي نفسه...
ذلك الكائن الذي أيقظني منّي،
ثم تركني هناك
أبحث عن طريقة لأغمضه.

مقدّمة

لا أعرف كيف وصلتَ إلى هذا الكتاب..
ولا لماذا اخترته.. ولا أعلم إن كنت ستكمله..
لكنّي أعرف شيئًا واحدًا فقط
أنك تحمل شيئًا داخلك لا يستطيع الصمت..
وجعي يعرف وجعك
حتى لو لم نلتقِ أبدًا..
هذه شظايا.. بعضها كُتب بعد بكاء..
بعضها كُتب وأنا لا أشعر بشيء على الإطلاق.. وبعضها كُتب وأنا أحسد الموتى على صمتهم..
كل سطر هنا، كُتب لأجلي.. وأحيانًا ضدي..
وأحيانًا لأنني لم أعد أعرف من أنا..ـ ربما ـ
لن تجد هنا نصوصًا متماسكة ولا دروسًا ولا حبكة..
هذا الكتاب مرآة سوداء تُريك ما كنت تتهرب من رؤيته..
لا تبحث عن معنى ولا نهاية..
ولا تحاول أن تفهم كل شيء.. فبعض الألم لا يُفسَّر... فقط يُلمَس
إذا شعرت بالاختناق وأنت تقرأ..
فلا تُكمل..
هذا طبيعي.. بل ومقصود..

إن وجدتَ نفسك هنا فأنت لست وحدك
وإن خرجت دون أن تفهم كل شيء.. فربما هذا أفضل
كل ما أتمناه أن تجد سطرًا واحدًا، يشبهك..
أن تتوقف فجأة وتقول في نفسك:"هذا أنا.. ولم أكن أعرف أنني موجود هنا"
هذا كل ما أريده..
أنت الآن في الجحيم..
لكن ليس جحيم النار..
بل ما بعده.. جحيم الوعي..

لستُ كاتبة

أنا لستُ كاتبة
ولستُ شاكرةً كما يتوهمُ البعض..
وأعلمُ حدَّ اليقينِ أن معظمَ نُصوصي مكسورة بالأخطاءِ الإملائية،
ركيكةً مثلَ جِسرٍ مهترئ
مثل ذراعينِ باردينِ يعانقانِ امرأةً باكية
لا أتذكرُ متى..
بدأتُ الهذيانَ بالحروف،
متى دَسَستُ نصوصي التافهةَ تحتَ مَخدتي!
كلُ ما أتذكرُهُ أني..أرتدي كبرَ الحُلمِ
دورَ جنديٍّ كتبتُهُ في نصٍ ما-
يُحتَضرُ تحتَ كوفيّةٍ فلسطينيةٍ متنهداً باسمِ حبيبتِه..
أحْلُمُ بأن أكونَ البُلدوزرَ الضخمَ الذي يُحطمُ آلات الحرب !
يكفيني جداً أني تمنيتُ كوني مسرحيةً كوميديةً
تضحكُ على مقاعدِها أرملةٌ كئيبة أو قطعةُ
شوكولاتة صغيرةً تذوبُ في فمِ طفلٍ يتيم
أو فنانٌ على رصيفٍ باردٍ يرسُمُ سيدةً أربعينيةً
يلوّحُ من عينيها حبيبُها الأول!
أكتب غالباً بطريقة مؤلمة
أبتلع دمعي، وأرش الليل على الكلمات..
الكلمات.. آه من الكلمات!
ما أتعس انتهاء صلاحيتها في قلوبنا بعد عظيم
شوقٍ ولهفة وانتظار طويل
في حياةٍ أخرى لن أبدوَ لكَ جملةً ضعيفة تحشو مجازَها ببلادة،
ستقرؤني كقصيدةٍ خالدة على حوافِ الهمس،
تمدُ يدَها إلى قلبك،
تطعنُك برقةٍ غائرة في روحك..
تُغرقُكَ في دمِ دهشتك..
تجعلُكَ ترى الموتَ حنوناً
وتقولُ بكلِ ما فيكَ: الله!

من أكون؟

لستُ شاعِرة لأُسجنكَ في قَصيدة
ولستُ موسيقية لأعزف لكَ الحُب
في ألحان يسمعُها الجميع
لستُ كاتِبة لِأحشرك بين السَطور كمُجرم
فيشتمُكَ القراء
ولستُ رَسامة لأخط ملامِحكَ على ورقة وأمزقها
لستُ مُطرِبة لأجعَلكَ تتناثِر على مَسامع العُشاق
لستُ سوى امرأة تقليدية
وأنتَ رَجل مُتمكِن مِن اللغة
تَصوغ أُرصن الكَلمات
وأنا حتى السَلام مُتزعزع في لِساني
أمي امرأة بَسيطة لم تُعلمني القراءة
ولكنها عَلمتني الحُب
لا يُمكنني إعداد البَرغر الأمريكي
أو البيتزا الإيطالية
ولكِنني طاهية جَيدة
أستطيع أن أصنع لكَ رَغيفا دافئا مِن الخُبز
لا أعرف أنواع الخمر
ولكِنني ماهِرة في طَهو " الشاي "
كان أبي مُناضِلاً في الجَيش
لم يُعلمني أن أكتُب القَصائِد
ولكنهُ علمني وَضع العِتاد في البُندقية
لا أعرف الأُغاني العربية الكلاسيكية
للكنني بارِعة جداً في النَحيب
والمواساة ، وتَرميم الخَراب
لا أعرف أن أُرقُص لكَ إن كُنت حزيناً لكنني سأبكي مَعكَ
وإن عُدت ثملاً في مُنتصف الليل
يُمكنكَ أن تَرقِد على يَدايّ حتى تَغفو مُطمئِنا

المسطبة

[منفى الأمل الأخير]

مُنذ أن وُلدت لَم يَكن لي مَع الفَرح صِلة..
فمنذ أن أبصرتْ عيناي نور الحياة لم أعرف للأفراح دربًا..
حيث للأفراح سراب يَلوّح بعيدا في الأُفق فلا يُدرك..
فلا أستطيع أن أُهب الأشياء ثقة كاملة!..
مَهووسة بِالتساؤلات المُضطربة
فمثلاً ...
لِماذا تُنجِب الأمهات أطفالاً لِهذه الحَياة.. رُغم عِلمهُن في نِهاية المطاف بوقوفهن
على قبور أولادِهن باكيات مُولولات !!
وأنا أعي جيدا
أن الناس يُولدون لأسبابٍ عَديدة
ويَموتون لِسبب واحد ...
أليس مِن الغريب أن أتساءل هكذا؟
مُنذ أول مَعصية لإبليس وهوَ يُحاول التَمردَ..
مُنذ أول تجربة لآدم أوقعته في الفَخ..
مُنذ أول دم سُفك على يد أخ يقتل أخاه..
مُنذ مُحاولة البشرية للنجاة على سفينة..
مُنذ أن رثى جلجامش أنكيدو..
مُنذ أول قصيدة غزل خُطّت على لوح طين..
سِرنا إلى الكرب مرارًا بِخطى ثابتة
لم يُقلِقنا الموت بِقدر ما تُقلقنا الحياة..
نحنُ أبناء الدّمع الالهي والحزن المُزمن
أصدقاء الكمد واليتم والحرمان
أدمنَ كلينا السواد..
وأصبحَ الرحيل خليلاً لنا..
نحنُ أبناء الذين يغفون على المسطبات..في انتظار كملهم المُهلك.. تحت شمس
تموز الحارِقة
وهم يعشقون ويُغنون بِقلوب مُتعبة
في طَياتِها خراب العالم أجمع..
حتى الابتسامة أصبحت كملاً شاقًا..
لذلك لا يُمكنني أن أنتقي لكَ مُفردات بألوان زاهية..
سأناديكَ من بعيد..
وسأستعيرُ لكَ نبرة غزاويَة ثكلى..
فُقدتْ وحيدَها في حربٍ خاسرةٍ..
تَقفُ قُرب قبرهِ مثل شجرة مُتهالكة..
تُحاول الصمود أمام الرياح العاتية..
و لأن هذا القلب وُلِد كهلاً
فأنا ظل باهت في عالمٍ مليء بالألوان

ربما أجدني

مُنذ أن ولِدت وأنا زِلتُ أبحثُ عَني فَي زَوايا الأرض
أنا ضَائِعة مُنذ عشرين عاما
لا أعرفني، أين ومتى ولِماذا !!
الأسئلة تَصنع مِن رأسي مُركبة حقاً
كل ما أعرفهُ أنني أتسرب الشاي فَي المَقاهي
والأزقة القَديمة
وأسكرُ بهِ
فَكما يقولون: أن الشاي خَمرُ الفقراء
أبحثُ عني في طَرق مدينتنا المُتعرجة والمُظلمة
الأيام بلا أقدام
وتركضُ أسرع مِني
أبحثُ عني في عَتبات المنازل المُتهالكة
وجدرانها المَليئة بِالذكريات
بين السجون وحبالُ المِشانق
وفي فوهات المَدافع وأصوات الرَصاص
المدن الملطخة بِدماء الثوار
أبحثُ عني فَي عيون الأيتام ونَحيّب الثُكالى
بين الحانَات والشوارع وعلى أرصفة المُتعبين
أبحث عني في حناجر الباعة المتجولين والكادحيّن
بين سَطور الكتب وتواريخ النهايات
في وطن لا يَرغب بوجودي
وضجيج شهداء يتساقط كالأحجار
وأنا أبحثُ عني في مَقبرة الأموات
هُناك حيثُ لا شيء سَوى قبور الموتى
أحلامانتزِعت قسرا..
لا أحد يحرس الأموات
سَوى طير ينامُ مطمئنا فوق القبور
تأتي الأسئلة في رأسي المُزدحم بالأفكار
هل يحتاج القدر كل هذا؟
رُبما سأجدني هنا

رحلة النضج

انهار ذلك القلب الليّن
كمدينة مُتهالِكة تَعرضَت للقَصف
مُنذ أن لامَست قلبي الوَحشة
تَحولتُ مِن نَسمة إلى عاصِفة
صرتُ أتهرب مِن امتلاك الأشياء وأتفادى إصلاحها
الأضواء التي تَنخفتُ تدريجيا لا أحاول إعادة وَهجِها
أن تنتهي الطُرق التي رَكضتُ نحوها بِقلبٍ يحملُ عاطفة الأمهات
أفضل مِن الاستمرار بِشكل باهِت
يُقلِقُني الاقتراب والسكينة
أخافُ ذلك الأمان وتِلك الألفة
أخشى تَشتت الحَواجِز والمَسافات القريبة
يُرعِبني الخراب الذي لا يُعاد اصلاحُه
بِعمق الألفة تأتي الخَيبات
لِذلك أحذر مِن استثناء الأشياء أو آنس بِوجودها أنا وحدي...
ويُحزنني أن أقول ذلك
كل الأيادي التي تمتد لي باردة كَالصقيع رغم أنني لم أمسِكها
ولا أستطيع الاحساس بالطمأنينة يساورني الشك تجاه كل شيء
حتى تلك الأشياء التي كُنت أؤمِن بحقيقتِها
أهلكتني الغُربة
وبعد أن أصبحتُ ألهث مِن الركض خلف كل الأشياء التي أحبها
لا أجدُ مكانا واحدا أستقرُ فيه
لكن... عليَّ أن أخبرك بهذا كان علينا اجتياز ذلك الصمت
ولكننا لم نَتحدث..
بيننا التفاتة تقتل الكبرياء ولكننا لم نستدير
بيننا مسافة خطوة واحدة لكننا لم نَتحرك..
تقفُ بيننا كلاماتٌ قليلة ووعد طويل
على الرغم أنني أعرف مُنذ البداية
أنها مجرد كلمات لا يُمكنها أن تُزهِر الحُقول
وتُغير الفصل إلى الرَبيع وتُحلِقُ الفراشات
وتُزين السَماء بِالمطر
والأرض بِالورود
فالآن ... وبعد أن انقضت الكلمات
أنتَ لم تعد تريد المجيء
وأنا لم أعد أرغب في الانتظار

يا ترى.. الفنُّ أم الحبُّ؟

تعال لِنحتسي الشاي مَعا
ونتبادل الحديث حول الانفِجار العَظيم
النَجوم النيترونية أو قنابل هيروشيما
لِنتحدث عن المعاني العميقة
خلف مسرحية مأساة هاملت
أو لنرقص على معزوفة بيتهوفن
ونتبادل قصائِد الحلاج
أو غزل قيس بن الملوح بـ ليلى العامرية
لِنغرق في بحور الشعر
ونغني بِصوت يملأهُ الحَزن
بين ريتا وعيوني بندقية
دعنا نتحدث حول الأدب، الفن، الموسيقى
الفلك، الفضاء... ونترك الحُب للمملين.

حين يصيرُ الحبّ تُهمة

سَيدِي يَا ذَا اَلعُيون النَّرجسيَّة
لِأَنَّ كُل مِن يُحِب فِي مدينتنَا البائسة
يقولونَ عَنْه مَجنُون....
فِي بَلدِي يُصنَّفون الحُب
على أَنَّه جَرِيمَة جَرِيمَة لَا تُغتَفَر
تقودنَا لِلْقتْل أُحْيانا
أن تُحبَّك فَتَاة مِثْلِي تَتَمرَّد على العَاداتِ والتَّقاليد
تضع رِمائِهَا فِي كَفهَا وتكْتب لكَ القَصائِد
حَتَّى القَصائِد يا سَيدي يعْتبرونهَا جَرِيمَة
هُنَا يَقتُلون باسم الحُب...
يُذمنون الممنوعات باسم الحُب...
ولكنَّهم يَكتُبون باسم الحُزن والأسى
ويخافون الاعتراف بِقلوبهم
الحُب فِي مدينَتي مُشوَّه
إمَّا أن تَكُون مَجنُونا وتكْتب أو تَكُون بائسا لا تعترف!

دمعُ الهوى

مَزقوا رَسائل قَضيت الليَل أكتُبُها
وقَد سَل شَيبي فَوق مَفرقةِ الصِبا
كُل ذي حُبٍ بجَرحٍ يُقتلُ
ف من عاشَ فَي حزن قَلبهُ رَحِبا
للدَمع... للآهاتِ.... لليَلِ وَحشَةٌ
آسفٌ لقَلبي ما تَركتم يَيننا كَتَبا
لا بُدّ للدَمع أن يَبدو وأن حُجِبا
مُنذ أن لاحَ جَمر الشَوقِ أضلعي
وأنا أتوق لِكل راحلٍ ذهَبا
ولا أزال بِكأسِ الليَل لاهيَة
يَظل قَلبي يَنوح كليك أن شَربا
وأن قلتُ أنساكم وأهوى غَيركم
لساني وأن قال أهوى غيركم كذِبا
ف أنصت لِ كيناي الحَزينة تسألُ
مِنك المَدامعُ تهوى المَوتِ والطَربا

النهايات

أنا لم أعد أخشى النهايات
أصبحت الأيام تتلاشى
تركض سَريعا نحو النِهايات
العُمر يركض ....
لا شيء سوى النهايات
كل الأشياء تَبحث عن مَخرجٍ للهرب
قلبي يَحبوب الذكريات
يُلملم الوَعود المقطوعة.. الرَسائل المُمزقة
يركض نحو الأبواب.. ويُغلقها خلف الراحلين
وعندما يأتي الليل
وفي كل ليلة...
يطفئ مواقيد الانتِظار... وينام
إنني لستُ أقل اجراما منكَ
أنا ايضا أتمنى أن أتركني وأرحل
أتمنى دوما أن أغادرني ...
كلانا راس على قَلبي
أنتَ لأجل أن تتركني
وأنا لأجل أن أنساك

قناع الوهم

لا أعرف الأيام
التي تحتاج إلى الشهيق والمواصلة
قضيت عمري وأنا أركض
ارتاعُ مِن محطات الاستراحة
أخافُ التوقف
مِثل خوف طير هَزمهُ العنَاء
لا يَتوقف خشية أن تتركهُ
الطيور المُهاجِرة... وحده
رُغم إنني اعتدتُ على أن أُترك وحدي
لا أعرف الخَلاص في النِهاية
أنا أفقهُ شكل الهاوية
أُدرِك العُمق في جيدا
نَجوت مِن الطوفان مرارا
وأغرقتني قطرة...
ورُغم هذا الغَوص المُستَمِر
في الحُزن والضَياع
مازِلتُ أُخفي هَزائِمي
كُل صَباح، أضَع قَهري تحت الوِسادة
وأخرج للجَميع بِوجهٍ يَشوش
مِثل أي شَخص مُثقَل بِالسَعادة
لا يَعرِفُ اليأس طريقا
أرمي ابتِساماتي في وجوه المَارة
الذَين يُقابِلون البتِسامات بِالسُخرية
والرِدود الشَرِسة والنَظرات الحاقِدة
وكأنني السَبب في دمار البَلد
وغلاء الأسعار ودَرجات الحَرارة
فقط لأنني أبتَسِم !!
يُصِرون على أنني فارِغة
يَتهمونني أنني بلا هُموم
هل يُبصِرون الشَقاء بِعَينيَّ؟
ألا يَعرِفون أنني ضَحية الأمل الزائِف !!
أ حقا أنهم لا يَعلمون
أنني وَضعت خَيباتي تحت الوِسادة
وخَرجتُ لهم بِهذه الهيئة الصَلِبة
لأعود إليها ليلاً
فلا تحتمِل ثِقل رأسي
الذي يَضُج بِالحزن !!
هذهِ الوسادة التي أخشى تكريكها
حتى لا أوقِظ الكَوابيس تحتها
الوِسادة التي تُرقِد تحتها
الأوجاع ، وأكواما مِن الخَراب
تُحذِرني وتُنذِرني مِن تكريكها
كُل ليلة ... تُنادي

انهيار

انهار ذلك القلب الليّن
كمدينة مُتهالِكة تعرضت للقصف
مُنذ أن لامَست قلبي الوَحشة
تحولتُ مِن نَسمة إلى عاصِفة
صرتُ أتهرب مِن امتلاك الأشياء وأتغادى إصلاحها
الأضواء التي تنخفتُ تدريجيا لا أحاول إعادة وَهجِها
أن تنتهي الطُرق التي رَكضتُ نحوها بِقلبٍ يحملُ عاطفة الأمهات
أفضل مِن الاستمرار بِشكل باهِت
يُقلِقُني الاقتراب والسكينة
أخافُ ذلك الأمان وتِلك الألفة
أخشى تَشتت الحَواجِز والمَسافات القريبة
يُرعِبني الخراب الذي لا يُعاد اصلاحُه
بِعمقِ الألفة تأتي الخَيبات
لِذلك أحذر مِن استثناء الأشياء أو آنس بِوجودها أنا وحدي...
ويُحزنني أن أقول ذلك
كل الأيادي التي تمتد لي باردة كَالصقيع رغم أنني لم أمسِكها
ولا أستطيع الاحساس بالطمأنينة يساورني الشك تجاه كل شيء
حتى تلك الأشياء التي كُنت أؤمِن بحقيقتِها
أهلكتني الغُربة
وبعد أن أصبحتُ ألهث مِن الركض خلف كل الأشياء التي أحبها
لا أجِدُ مكانا واحدا أستقرُ فيه
لكن... عليَّ أن أخبرك بهذا كان علينا اجتياز ذلك الصمت
ولكننا لم نَتحدث..
بيننا التفاتة تقتل الكبرياء ولكننا لم نستدير
بيننا مسافة خطوة واحدة لكننا لم نَتحرك..
تقفُ بيننا كلماتٌ قليلة ووجد طويل
على الرغم أنني أعرف مُنذ البداية
أنها مجرد كلمات لا يُمكنها أن تُزهِر الحُقول
وتُغير الفصل إلى الرَبيع وتُحلِقُ الفراشات
وتُزين السَماء بِالمطر
والأرض بِالورود
فالآن ... وبعد أن انقضت الكلمات
أنتَ لم تعد تريد المجيء
وأنا لم أعد أرغب في الانتظار

تساؤلات

لم يَعد هُنالكَ شيء يَستحقُ القتال
فقدتُ أسلحتي جَميعها
بُتِرت يداي
حتى أنني لا أستطيع
التلويح لكَ إن ثبتَ الرَحيل
لا أستطيع أن أكتُب القصائِد لأجلكَ
ولا يُمكنني أن أُستاق لكَ
دون أن أرتجِف خوفاً مِن النهايات
لا يُمكنني أن أكتب نصوصاً مِن الغزل
لـ كيناك النَرجسيةُ
خوفًا مِن أن تقرأها فتاة فـ تقع في غَرامكَ
أنا يا سَيدي مَهزومة وخائِفة
أعلم أنكَ ستخذلني
كـ عصفور يَثقُ بِصمت الصَياد
كـ طفل يُصدق بِكل من يُقدم لهُ الحلوى
كـ إيمان جدتي الراحلة المُعدمة بِدموعها،
واعتقادِها الجازم بأن الثُقاة يرتدون الجبة والعمامة
و كـ خيبتها عندما كسر رَجال الدين
ما كانت تؤمن بهِ...
أنا لا أعرف مِن الحياة سوى الخوف
ولِدتُ بِقلب مَفزوع ، ورأس مُشوش
وعيون قَلِقة كـ خَطوات اللصوص
وأياديّ هَشَّة لا تَستطيع أن تُمسكَ الأشياء دون أن ترتجِف
مُنذ أن فتحتُ عيني وأنا رفيقة الخوف..
مِن الأشباح التي تُخيفني بِها أمي إذا رفضتُ النوم..
ومِن المُعلمة التي تتقمصُ ملامح البِلادين!
مِن الوَداعات ، والكوابيس ، والظلام
مِن الملكين المكلفين بِكتابة التقارير
مِن القدر المجهول
مِن الأحلام التي لم أُحققها
مِن ضياعي وحُزني والشيب الذي غزا جدائلي
بعيداً عن الخوف الذي لا أُبصِر غيره
كُن طُمأنينتي الوَحيدة
في هذا العُمر المُركب
أمسكْ بيديّ وخذني إلى مكانٍ لا تنتهي
وَطن لا يُقتل أبناؤه
بيوت لا يموت فيها الآباء
رسائِل لا تُمزق وصور لا تُحترق
وسائِد لا تُبللها الذكريات
أرصفة لا تنكر المُشردين
وأغاني لا يملؤها الفقد..!

استفهامات

١..
كانتْ تؤدّي صلاتها بـ دُميةٍ متفحّمة،
وتذرفُ الدمعَ لأنَّ الإله
لمْ ينقذ دُميتها..

٢..
فِي حديثِها آيةٌ
وفِي نظرتِها استفسارُ
ظلَّ بلا مُجيب..

٣..
علّقوا صُورة الرّب أعلى سَريرها،
لكنَّها خافتْ
تحت كباءةِ الهلع

٤..
عندما رحلتْ والدتُها،
رسمتْ للّه قلبًا منكسرًا
وتساءلتْ بأسًى: "لماذا؟"

٥..
من دميةٌ بلا رأسٍ ـتعلّمتْ ـ
أنَّ لا شيءَ سيعودُ كما كان..

٦..
أُخبرُوها قائلين: إنَّ "اللهَ يحبُّ الصابرين"
فخبأتْ وجعَها بينَ صفحاتِ دفترِ الرسوماتِ..

٧..
لمّا بلغتْ رُشدها،
صاغتْ مفهومًا جديدًا للنبوة:
فكلٌّ من ذرف الدمع وحيدًا
فهو نبيٌّ...

هل هو مستحيل إلى هذا الحد؟

متى تخترق حواجز "كيف حالك"؟!
مر وقت طويل على آخر مرة تحدثنا معا
شعرت فيها بأنك تزيد مشاركتي حزنك..

فبادرت بالسؤال هل أنت بخير ؟!
كان ردك وكرا وشاقا للغاية: امثلما تشعرين بي!
لطالما وحدث إخبارك بـ "أن المسافات خدعة"
وأن عيون المذكوؤين من العشق زنازين
وأنك محبوس بداخلي..
كذكريات الطفولة القاسية
أرنو إلى أوجاعك كما ترنو عيناك النرجسية إلى سقف الغرفة قبل خلودك إلى النوم
كنت أرغب في أن أقول لك: أنني سأحمل أحلامك على كتفاي حتى وإن كنت مرهقة وضائعة..
فكلانا نتشارك الأحلام نفسها الحزن نفسه
وأيضا القلق
وكذلك الوحدة والأغاني
لدينا الكثير من الصفات المشتركة مثلا...
أنا أغني الليل في كتابة القصائد وأنت تمزقها في الصباح..
أنا ألمس نصوصك بحذر كما يلمس السكارى مقابض الأبواب عندما يعودون في أوقات متأخرة ليلا ..
نحن نتشارك المشاعر أيضا..
سيدي يا ذا العيون النرجسية أخاف غيابك ... كخوف شاعر عار من الكرب مقطوع الذراع..
وأنت تحب تلويحات الرحيل وعناق النهايات!

وكيف تجيد الأبتر التلويح والعناق !!
لمرة واحدة فقط حدثني عن الحب..
لا يمضي كلانا الآخر دون وداع
دون أن تترك ورقة على الباب
أنا أيضا مثلك يقلقني اللجوء..
تركبني فكرة أن أنظر اليك كـ مأوى
مثلما يركبني فقد أصدقائي وتقدم أمي في العمر
الخوف ذاته الذي يمنعني..
أن أهديك أغنية للسيدة فيروز وهي تقول: "يا أنا يا أنا وياك صرنا القصص الغريبة... يا أنا يا أنا وياك
وانسرقت مكاتيبي وعرفوا أنك حبيبي!"..
متى تجمعنا الأيام ويتوارى الخوف !!
اليوم دعتني صديقتي لحضور حفلة زفافها من حبيبها.
الذي اعترفت له بقصيدة كتبتها أنا لك !

النهاية

هذهِ المَرة لا أملكُ أي مُحاولة
قَصائدي مُبللة بِالدموع
وصَدري تَخدِشهُ حتى أُرق الكَلِمات
بَعد كل هذهِ المُثابَرة
أيقنتُ تماما
أن الخَيبات لا تَنتهي ولا تُنسى
هذهِ المرة... أنا فارِغة
وليس بِكوزتي يوم آخر
لِمحاولة العَيش
ولا أُغنية أُداري بيها اليأس
ولا ضِحكة مُستَعارة
لأُمنَحها لِصديق يتمنى المَوت
يؤسِفني أن أقول هذا
ويُحزِنني أن أنهمر هكذا بِغزارة
كـ مطر قاوم في الشِتاء بِكل ثبات
وتَساقط في الصيف
ففقد هيبتهُ رغم فَيضِه
سأموت غَريبةً
سأموت صغيرة
لا أتعدى العشرين مِن العمر
ولن يكترث لِهذا أيضا
لن يبكي بعد أن يَسمع
نحيب أُمي على قبري
سيصبح تُراب قبري باردا كالصَقيع
عندما أموت
ولا يأتي يوما ليَمسح تراب قبري بيديه
حينها حقا
سأموت ميتة الغُرباء في أوطانهم

الدم والحرب

في صِغري
كان أبي يُحدِثني عن الحَرب
وكيف كانوا يَتلذذون بِمرارة الكأس
ويَمزجون ما تَبقى مِن بؤس أيامِهم
بِصوت المقاومة
يدخِنون السَجائر بِشراهة الحَرب
ويَرمون أعقابها وقبل أن تَسحقها الأقدام
يَتحسسون الأرض ويبحثون عن أعقاب تِلك السَجائر ليدخنوها
الليَّل طويل وموحِش
يَضحكون بِوجه الشباب الذي يَمضي
بين رُكام الحَرب والجُثث
شبابهم المَنثور كَ حبوب الشعير
في حقول الأوراس
يَضحكون على يأس خَلاصهِم
مِن تلك الخَنادق التي دُفِعوا اليها مُرغمين
يَتسامرون في ثكناتهِم ليلاً
ليقتلوا صباحاً بِصمت هادئ
كان يُحدثني أبي وهوَ يضحك
رُبما كيَّ لا أُخمِن كيف تتناثر أشلاؤهم
أو رُبما كي يوهِمني
أن طريقة مَوتهم كانت لذيذة
حينها كُنت أتجَنب مُشاهَدة مَناظِر القَتل والركب والدَموية
على شاشَة التِلفاز
ويرجِعني مُراسلي الحَرب
وهم يغطون أخبار المَعارِك
بأصواتهِم الرَخيمة
ويصرخون بِكبرياء
هذه جُثث أبطالنا الأشاوس
وهذهِ جُثث الأعداء ...
عندما كبرت
لم أعد أتحاشى دويَ الرَصاص
أصوات المَدفعيات والقنابل
وأزيز الطائرات والألغام
اليوم ... اليوم يا الله
أنا أتنازل عن هذهِ القُدرة
والقوة التي مَنحتني أياها
أن أشاهِد الموت.. دون أن أرتعِب

متاهة

في هذا الليل المَوحِش
تَقطعني الاحزان
كما يَقطع السُكارى
شَوارع المَدينة ليلاً
ليعودوا إلى مَنازِلهم
أسير وَحدي، بلا رِفاق
بِملء الصَحوةِ والغُربة
أودِعُ الجُدران الشاحِبة
والذكريات الغامِضة
على جِذوع الأشجار
ولِقاءات العُشاق
وأحمِدة الأنارة
والقِطط التي تَرقد في الأزِقة
وضحكات العائلة
خلف النَوافِذ المُشرَعة
أريدُ المَوت بِشرف
قبل أن يَتحتم عليَّ الرحيل يوماً
وأجد الجَميع قد غادروا
ولم يبق شيء يواسي وَحدتي
كل شيء رحل وتركني
أُصارِعُ هذه الغُربة وَحدي
حتى الأرصِفة
والجدران المُتعبة مِن الوقوف
والكراسي المهجورة
والكؤوس الفارِغة في الحانات
والأغنيات العَتيقة
والقَصائد المُبللة بِالفقد
أريد أن أموت على فِراشي البارِد
في حِضن أمي
وأنا أرنم أغنية كوزيت في نُزُلِ "واترلو"
سأنام سأنام انتظري يا أحلام..
حتى أغمض عيني وأغفو بسلام..
لأنام بعدها إلى الأبد

صدى الذات

تأملات في المرآة

أحنُّ لصورتي الغابرة..
تلك التي تجلت في السادسة من عمري.. حيث كنتُ أحتضن أختي الصغيرة..
لا يراودني رهاب المجهول..
ولا تتملكني خشية من غياهب الماضي..

في تلك الحقبة..
كنتُ أُنصت لقصة يوسف عليه السلام..
غير أنني لم أخشَ إخوته..
ولم أستشعر وجود البئر..
بل كنتُ من قفز فيه بإرادتي..
لأغرق في أعماقي وحيداً...

لا أُحبّ قناع براءتي الذي بات مكشوفا..
ولا يساورني الندم على غدرٍ ربما حدث..
أنا في الجب يا أبي..
وقمري وكواكبي تدور في جوفي..

لقد كذبتُ الرؤيا..
فلا قمرٌ، ولا شُموسٌ، ولا كواكبٌ..
خرّت لي ساجدة...

والذئب البريء من دمي..
فها هو ذا يسكن في محراب أوهامي..
لقد أغويته..
ولن أعترف بأنني زليخة..
ولستُ ولن أكون..
ذاك اليوسفي المسكين...

خذلان

لم يكن البكاء كملاً شاقاً بالنسبة لي
لطالما شعرت بأن البكاء إجابة على كل الأسئلة
لذلك كلما غمرني الحزن والتيه والضياع
وضاقت الدنيا عليّ بما رحُبت
أجدني أتكئ على صوت (محمود درويش)
وهو يتلو القصائد
وأبكي..
بكل ما أتى الله الثكالى من دموع
لأدرك أن كل هذه العصافير التي أطعمتها في طفولتي
ودفنتها عند الموت
وصنعت لها جنازات
وأحييتُ لها جنائزَ تليق بموتها
لأنني أعرف تماماً أنها مشردة بلا مأوى
أو ربما لم ينتظر هذه العصافير أحد
أو يذرف الدموع على رحيلها
فكنت أبكي نيابة عن كل شيء
أما الآن وبعد أن قضيت عشرين عاما
بأيادي متعبة ونحيلة لا تصلح لتلويحات الوداع
وبوجه شاحب يلتفت للخلف عند كل غياب
وبعينيين ضعيفتين ورثتهما من أثر الفقد..
في كل مرة أتهاوى وأسقط
مثل الأشجار الخاوية التي تنكسر
عندما تشتد سرعة الرياح أبكي بمفردي
فلا داعي للتماسك والتظاهر فالصلابة خدعة
يُفترض بنا أن نبكي للأبد!

نحيب مؤجل

سَمعتُ أبي ذات يوم يقول
أنه يُمكِننا أن نرِث الجراح لأبنائنا
مُنذ ذلك الوَقت
وأنا بدأت أُشعر إنني عليَّ أن أُخبِر أبنائي
أبنائي ... الذين لم أُنجِبهم بعد
أن الجِراحات الموروثة
يُمكِن أن تنمو لها أجنِحة
ويُمكن أن تكبر تدريجياً حتى تَتسيخ
وأحياناً تكون فريسة للغُرباء
يَقرأونَها في عيون المَخذولين
أو رُبما تكون تلك الجُروح
غائِرة مِثل كل الضَحايا
الذين غَرقوا في النَهر
فرجح أن تكون حية ولكِنها غائِبة
أو أن تكون جروح ميتة
كالشُهداء في المعارك
أو أنها ما زَالت مَفقودة
كَالذين ذَهبوا للحَرب ولَم تُعد جُثثهم
مُنذ ذلك الوقت
وأنا أروض قلبي على النسيان
أن أضعُ رأسي على الوَسادة
دون الاحتِراس أله أردد اسمك
وأنا نائمة ذات يوم
دون الرَهبة مِمن يَنطقون أسمك
ويَرمقوني بِنظرات الأتِهام
دون الفَزع والضَياع
عندما المَحك في الطرقات
أبتغي نَسيانك قَطعياً
لأجل أله يَرث أحد من أبنائي جرحاً
ولكِن ... لكثرة ما أشتاق لك
أشعر أن جينات الشوق
ستنتقل عبر الوراثة لِبناتي
فيكبرن ويشتقن لِرجل
لا يعرِفن حتى أسمه

لا يُغريكَ هذا البرود
داخِلي بُركان مِن الغَضب
لا تُغريكَ هذهِ البرِوح
التي تُرشِد التائِهين
فـ هيَّ لا تَعرِف مُغادرة المَتاهة
لا تُغريكَ هذهِ اليد
التي تَمتد للجَميع
حتى الآن لم يُمسِكها احد
لا يُغريكَ هذا الشَجن
ضَحِكتُ في كَزاءاتٍ كثيرة
لا يُغريكَ هذا الكَسِر
الرياح العاتية تَجعل السَنابل تَنحني
وأنا أُموت واقفة كالأشجار
لا يُغريكَ هذا الصمود
فَلا هِدوء يَسبقُ العَاصِفة
أنا الأعصار ما حَيَيت

علينا أن نَغفِر
لِكل مِن استَمعوا لِثرثرة أحزانِنا
دَون أن نَبوح بِذلك
نحنُ حَياتنا نَصنعُها بِالشرور
ف يُفسدها الانتِباه
نحنُ الذين
لم يَغفر لنا العالمُ ذراعيهِ
أصبَحنا نَدُس الخَيبات
تَحت وَسائِدنا ....
ف أحرقَنا رويَّ الدَموع الصامِتة

وقَلبي يا أُمي كأس فَارغ فَي الخَانات
يُحطِمهُ السُكارى عَندما يَذكرون حَبيباتِهم
قَلبي قَفصٌ فارِغ
أُطلقتُ آخر الطَيور التي تَسكنهُ
ولكِن هُناك كمد فَي جَوفِه ما زال مَأسورا
ولا يَبتغي أن يَكون حُرًا..!

أين أهرب؟!
و كل الأماكن ترتدي بِزة الملل..
أين أهرب ؟!
من تلك العقارب والديدان
التي تلدغ قلبي كلما حان المساء
أين أهرب؟!
وكل الطرق مغلقة لسوء الأحوال النفسية
أين أهرب من ظلي الذي يلحق بي؟
كأفعى جائعة تريد أن تنقض عليَ..
أين أهرب؟
من ثرثرة عجوز سليطة شمطاء تسكن جمجمتي..!؟؟

كُلنا مُكتَظّون بالخَطايا..
لا يوجَد بيننا أحدٌ بريء
من دم هذا العالم...
حتى أنا يا أُمي...
أُحمِلُ بِروحي الضَئيلة قَلبي المُدَمَّى
بِكَفناتِ المَسامير
الذي أصبح كَشجرة..
لا تَحطُ عليها العَصافير..
ولا تُثمِرُ سوى الوَجع

ثَمر السَنين
ولا جَدوى مِن الانتِظار
مِثل سرب مِن الطَيور المُهاجِرة
يُغادِر العُمر...
تاركاً خَلفهُ حُطام السَنين السابِقة
تِلكُ السَنين
التي تَناثرت دون حصادٍ مُثمِر

يغادرون واحدًا تلو الأخر
لقد ضجِروا مني كما توقعت
وكما ضجرتُ أنا مني منذ زمن
لكن لحسن حظهم
أنهم يستطيعون المغادرة متى ما شاؤوا
بِعكسي انا تماماً
محتوم عليَّ أن أتجرَعني
ولا أستطيع مغادرتي

لا زلتُ أُقاوم كل شيء وَحدي
مولاي!
تَعب الطينُ مِن الطين
ولم يَعد في الرَوح مُتسعٌ لِلمزيدِ من الأسى
مولاي!
حتى البحران
تتَعب من الوقوف، تريد الاتكاء...

رسالة إلى القارئ

عزيزي القارئ
إذا وصلت إلى هنا
فربما احترقت معي وربما لا..
لكنك أكملت.. وهذا يكفي..

لا أعلم من أنت..
ولا أي ألمٍ فيك وجد صداه هنا،
لكن شيئًا في داخلي يهمس بأنك فهمت..
ربما تبحث عنك... ربما تهرب منك..
أو ربما وجدتَ في وجعي شيئًا يشبهك.. فقررت أن تبقى قليلًا..

نحن لا نختار الألم الذي يُربينا..
ولا الوعي الذي يُوقظنا على أشياء لم نطلب أن نفهمها..

لم أكتبه لأبوح..
ولا لأُريحك أو أُريحني.
بل كتبت لأن الصمت كان سيقتل ما تبقى مني بهدوء..
نحن لا نَشفى نحن فقط نتعلم كيف نعيش بندوبٍ أنيقة
ونُخفي نزيف وعينا بابتسامات مصطنعة..

رسالة إلى القارئ

لا تبحث هنا عن خلاص، الكتب لا تُنقذ أحدًا،
لكنها أحيانًا تمنحك مرآة تقول لك: "لست وحدك."
فإن وجدت نفسك بين هذه الشظايا،
خذ منها ما يشبهك، واترك الباقي يحترق..
لا تُوصِ أحدًا بهذا الكتاب،
فهو لا يناسب الذين ما زالوا يعتقدون أن الوعي نعمة..
هذا الكتاب كُتب للذين سقطوا... ولم ينهضوا تمامًا..

للذين يتنفسون الألم،
ولا يقولونه..

وإن كنتَ أحدهم...
فشكرًا لأنك كنت هنا..

لأن بعض العطاء لا يُنسى

"لا أحد يكتب وحده... حتى عندما يكون وحيدًا."

شكرًا لمن لم يسألني لماذا أنا هكذا،
بل جلس بصمتٍ إلى جواري،
وكأن حضوره وحده إجابة.

شكرًا لكل من مرّ بحياتي كظل خفيف،
لم يَحكمني، لم يفسّرني، لكنه رأى الألم... واحترمه.

شكرًا لتلك اللحظة الصغيرة التي لم أنتبه لها،
لكنها كانت كافية لأبقى يومًا آخر.

شكرًا لمن أحبّني في قلقي، في مبالغتي، في صمتي،
ولمن فهم أن الكلمات ليست دائمًا سهلة الخروج... حتى على من يكتبها.

وأخيرًا،
شكرًا لي،
أنا التي لم أعد كما كنت،
لكنني كتبت رغم كل ذلك.

خاتمة

هل كنت أبحث عن النجاة؟
ربما..
هل وجدتُها؟
لا أظن..
لكنني كتبت..
وهذا وحده.. في بعض الليالي.. أنقذني من الانهيار التام..

أعرف أن هذا الكتاب لم يكن لطيفًا..
ولا منظمًا..
ولا مطمئنًا..

لكن من قال إننا نكتب لنُطمئن أحدًا؟
أنا لم أكتب لأُشرح..
ولا لأُفهم..
ولا لأُجمّل ما لا يُجمّل..
أنا فقط كتبت كي لا أختفي بالكامل..

فإذا وصلت إلى هذا السطر..
فأنت مثلي.. لا زلتَ تبحث...
عن شيء...
عنك...
وإن شعرت أنّ بعض هذه الصفحات كانت صوتك. فأنا لم أكن وحيدة..

انتهت.. ـأو لم تنتهِ غالبا ـ

خـــواطـــر

جحيم الوعيّ

كلُّ ما خِلْتُهُ خاتمتي

كان فاتحةَ وعيٍ لا يُسايِر، لا يُسالِم، لا يرحم..

لكنه -ويا للمفارقة-

أصدقُ من كلّ ما قبله..

وأبقى من كلّ ما تخيّلته حلما أو وهما

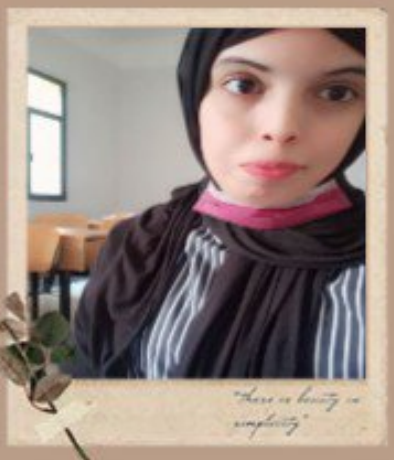

المؤلفة: بثينة زمال-من الجزائر-

حاصلة على لقب الكاتب الذهبي في مجلة المبدع

باحثة في ميدان الأدب العربي تخصص نقد ودراسات أدبيّة

ميّالة للكتابات الفلسفيّة التراجيديّة وروايات الفانتازيا